الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم

مشاركة مقدمة من د. غزيل عبد العزيز عبد الله آل ضرمان

مقدمة تعريفية عن الألوان، مصادرها، رموزها، دلالاتها في القرآن الكريم

تعريف اللون:

اللون هو ذلك التأثير الفسيولوجي الناتج على شبكية العين، فاللون ليس له أي حقيقة بدون وجود الضوء. فلا نستطيع إدراك أي لون إلا بواسطة الضوء الواقع عليه ثم انعكاسه على أعيننا.

لم يعد اللون بنفس المفهوم التقليدي على أنه طبقة من الطلاء أو مادة للزينة والزخرفة أو وسيلة للتسلية، بل أصبح اللون من أهم العوامل المؤثرة في حياة الانسان وحالته المزاجية والعاطفية أيضاً. فاللون صفة طبيعية من صفات الأشياء وهو عنصر علمي كما هو عنصر تنظيمي، وهو جزء من حياة الإنسان ولا يمكن إنكار تأثير الألوان وما للون من قوى كامنة لها قدرة على مناقضة الطبيعة في تغيير مظهر التكوينات والأشكال. كما تستطيع الألوان المحيطة تغيير إدراكنا للزمان والمكان فلكل لون تأثيرات نفسية على المزاج والسلوك.

مصادر الألوان:

هي مما لا شك فيه أن الطبيعة بالمعنى الشامل للكلمة أول ما لفت انتباه الإنسان إلى أهمية اللون، لأن الطبيعة بالألوان التي لا حصر لها والتي قدمتها للعين البشرية، دفعت الإنسان إلى البحث عن مصادر تمكنه من الحصول على ألوان تصارع ما تقدمه الطبيعة، وهكذا فقد توجه الإنسان منذ القديم نحو النباتات كالثمار والأزهار وأوراق الشجر والجذور السيقان، يستفيد منها ويستخرج الصبغات والتقليدية، كما استخرج العديد من الأصباغ من الحيوانات والحشرات.

دور اللون ووظيفته:

لا يخفى على أحد الدور الذي يمثله اللون في حياة الإنسان، فالألوان من أهم الظواهر الطبيعية التي تستدعي انتباه الإنسان، ونتيجة لذلك اكتسبت مع الأيام، وفي مختلف الحضارات، دلالات ثقافية، وفنية، ودينية، ونفسية، واجتماعية، ورمزية، وأسطورية، وتوطدت علاقتها بالعلوم الطبيعية وعلم النفس، وشكلت المادة الأساس للعديد من الفنون، والفن التشكيلي على وجه الخصوص.

هذا وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن للألوان تأثيراً على خلايا الإنسان، إذ لكل لون موجة معينة، وكل موجة لها تأثير على خلايا الإنسان، وجهازه العصبي، وحالته النفسية. كما أن اختيار الألوان، والانجذاب إليها أو النفور منها، يعود إلى أسباب متنوعة فيسيولوجية نفسية، اجتماعية، رمزية، ذوقية، ودينية، كما لا ينبغي إغفال دور البيئة الجغرافية في مثل هذه العملية.

تصنيف الألوان:

تعددت عمليات تصنيف الألوان، وطريقة النظر إليها وتقييمها، بتعدد الثقافات والحضارات، وبتنوع مناهج الباحثين، فهناك من نراه يصنفها إلى الغوامق (الأسود، والألوان الغامقة إجمالا، والأزرق) والفواتح (الأبيض، والألوان الفاتحة إجمالاً، والألوان الدافئة مثل الأحمر).

فيما يرى الفيسيولوجي الألماني ايوالد هيرينغ (1834-1918) Ewald Hering صاحب نظرية النظام الطبيعي للألوان، بأن الألوان تقسم إلى قسمين: ألوان أساسية وهي أربعة: أصفر، أحمر، أزرق وأخضر، وألوان حيادية: الأبيض والرمادي والأسود.

فهناك الألوان الأساسية والأولية، والتي هي أصل الألوان الصافية ولا يمكن استخراجها من أصباغ أخرى وهي الأصفر والأحمر والأزرق ومن مزج هذه الألوان الأساسية نحصل على الألوان المختلطة، وأول هذه الألوان المختلطة هي الألوان الثانوية أو الثنائية، وهي ألوان مركبة يتكون كل منها من مزيج لونين أساسيين: البرتقالي (أصفر + أحمر) وهو أول الألوان الثانوية.
ثاني الألوان المختلطة الألوان الثلاثية، وتكون بمزج أي لون ثانوي مع اللون الأساسي الذي يجاوره، أو عن طريق مزج لونين ثانويين.
وأخيرا هناك الألوان المتوافقة، والواقع أن الترتيب الطبيعي لألوان الطيف هو خير مثال على التوافق، فلو اخترنا لونين متجاورين من دائرة الألوان، لوجدنا أنهما متقاربان، فيهما عنصر مشترك وهذا هو معنى التوافق.

كيف تؤثر الألوان على الأنسان:

أثبتت الدراسات النفسية لعلماء النفس أن الألوان ليست مجرد موجات واهتزازات ضوئية فحسب؛ بل هي ذات تأثير كبير يصل إلى أعماق النفس البشرية؛ فمنها إيجابي يعبر عن الراحة والحب والفرح والبهجة، ومنها السلبي الذي يثير مشاعر القلق والاضطراب والحزن والكره، بالإضافة إلى تأثيرها الواضح على الحالة المزاجية والصحية؛ حيث استخدمت الألوان للعلاج وظهرت حديثا بعض المراكز غير الحكومية المتخصصة بالعلاج بالألوان.

تأثير الألوان الفسيولوجي:

قد تؤثر الألوان على الناس فتكشف عن طبيعتهم من خلال طبيعة النفس البشرية وميولها لبعض الألوان، وبما أن لكل لون مدلول خاص به فهذا بالطبع سيكشف لنا حقيقة الشخصية التي تحب هذه الألوان عن غيرها.

تؤثر الألوان على النفس بإحساسات مختلفة بعضها مباشرة والآخر غير مباشرة بشكل يتغير تبعا للشخص ذاته ويرجع مصدر ذلك لتجارب سابقة وانطباعات متولدة من تأثير اللون.

أ. الإحساس بالسخونة أو البرودة:

وهو إحساس سيكولوجي بالسخونة عند رؤية اللون الأحمر والبرتقالي والأصفر، والإحساس بالبرودة عند رؤية الأزرق والأخضر.

ب. الإحساس بالمرح أو الحزن:

الألوان الغامقة عادة ما تبعث على الملل والحزن عكس الألوان الفاتحة المبهجة الأكثر ديناميكية.

ج. **تأثير الألوان على النفس:**

تأثير الألوان يختلف من لون لآخر فالأزرق والأخضر من الألوان التي تبعث الهدوء. أما الأصفر فهو مبهج وجاذب للانتباه، والأحمر مثير، والأرجواني يعطي الإحساس بالحزن ولا يفضل استخدامه في الساحات الكبيرة، أما البرتقالي فهو دافي ومثير.

د. **التأثير الوزني للألوان:**

الأسطح ذات الألوان الباردة الفاتحة تظهر للعين أخف وزنا من الألوان الساخنة والقاتمة.

هـ. **التأثير المكاني للألوان:**

الألوان الباردة تظهر وكأنها ترتد معا يعطي الإحساس باتساع الحيز، في حين أن الألوان الساخنة نجدها تتقدم وتعطي تأثيرا بقصر المسافة وبالتالي الإحساس بضيق الحيز.

أخطاء حول تأثير اللون على النفسية:

على الرغم من دراسات تأثير الألوان على مدار السنين، وتحليل علم نفس الألوان، فهناك الكثير من الجدل حول تأثير الألوان على النفس البشرية. وأحد أسباب وجود هذا الجدل هو أن هناك العديد من المتغيرات التي تشكل تأثير اللون عند الناس، وأول هذه العوامل هي:

- اختلاف بيئة المنشأ
- اختلاف التفضيلات الشخصية
- الاختلافات الثقافية بين الجنسين

العلاج بالألوان:

أظهر العديد من الدراسات أن الألوان تؤثر في أمزجة البشر، هذا وقد عرف العلاج بطاقة الألوان منذ القديم، واستخدمه المصريون القدماء، والإغريق، ومن أبرز من استخدمه من بين هؤلاء عالم الرياضيات الشهير فيتاغورس، كما استخدمت هذه الوسيلة في الصين والهند، واستخدمت الألوان كأسلوب علاج عند العرب والمسلمين، كما أشار إلى ذلك ابن سينا في كتابه "القانون". وأثبت العلم الحديث، أن الألوان تزود الجسم بالطاقة، التي تعمل بدورها على تصحيح الاضطرابات الشعورية أو النفسية،

رمزية الألوان:

وقد عرفت الفنون القديمة جميعها بأنها فنون رمزية، وقد استعملت الألوان، كما استعمل الخط والحركة والإشارة في الرمز الفني التشكيلي، وربما كان اللون من أهم الأشياء التي استعملت كرموز، إذ يمكن للون أن يتحرك على شاكلة تعبير رمزي، أو تكوين جمالي، لمختلف الأغراض الحياتية أو الفنية ذات الرؤية المختلفة، كما

يمكن أن يكون واسطة للتعبير عن العاطفة الإنسانية على اختلاف نزعاتها ودوافعها. وقد بقيت رمزية اللون محتفظة بقيمتها التقليدية بالرغم من التطور الكبير الذي عرفته دراسة الألوان خلال السنوات الأخيرة، وبخاصة تحت تأثير كاندنسكي، وهاربن، وهنري بفايفر.

دلالات الألوان في ثقافات الشعوب والاستدلال من القرآن:

بعد هذه النظرة الشاملة إلى رمزية عدد من الألوان في عدد من أهم العقائد والحضارات، من المناسب التوقف عند كل واحد من الألوان، الأساسية منها على الأقل، لتبيان دلالتها ورمزيتها منذ فجر التاريخ وحتى أيامنا هذه، وذلك في مختلف الحضارات وجميع أصقاع الدنيا بالاستناد إلى ما ذكره المؤرخون والباحثون مبتدئين باللون الأبيض، ثم اللون الأسود، اللون الأحمر، اللون الأزرق، اللون الأصفر، اللون الأخضر.

المراجع:

- تفسير رؤيا يوحنا اللاهوتي: تأليف أشيموس بطريرك القدس، ترجمة الخوري يوحنا حزبون ١٩٨٤ – عمان.
- الفن الإغريقي - الدكتور ثروت عكاشة - الهيئة المصرية.
- العامة للكتاب ١٩٨٢- القاهرة. منتديات المتداول العربي.
- ملتقى حضرموت للحوار العربي.
- منتديات بوابة العرب.
- منتديات السعودية تحت المجهر. - منتديات البرمجة اللغوية العصبية.
- موقع الباحثون. د. ناصر الجيني، أسماء الألوان. موسوعة أسماء الألوان في الجهات المحلية.
- المجمع العربي الدولي لأصدقاء اللغة العربية.
- موقع كينز.
- الموسوعة العربية الشاملة.